فى مجلات الشرق

حقيقة الأمة

فى مقال بعنوان «بريطانيا فى دنيا الشعر» فى مجلة «الأديب» بقلم الأستاذ عبد اللطيف شرارة، يسائل:

«أين تكمن حقيقة الأمة؟

«وكيف نكتشفها؟»

ثم يحاول أن يجيب، فيقول:

«لقد كانت ألمانيا قبل الحرب الأخيرة تعطى العالم عن نفسها صورة يخيل بها للرائى أن ألمانيا أقوى الأمم وأرقاها وأعظمها، فلن تنبت الأرض بعدها جيلا من الناس يضاهيها فى القوة والرفعة والعظمة... وما هى إلا أن جاءت التجربة، فاذا الحقيقة شىء غير الجيش والمعامل والجامعات والفلسفة...»

ثم يمضى فى ترتيب المقدمات إلى النتيجة التى يقصد إليها، فيقول:

«فكما أن حقيقة الانسان لا تكمن فى كثرة ماله، ولا فى شدة عضلاته، ولا فى وفرة خدمه وأتباعه، ولا فى ذرابة لسانه، ولا فى أناقة لباسه؛ بل فى شىء مستقر فى الروح متحد بها — فان حقيقة الأمة أيضاً لا تكون فى الأساطيل والجيوش والأسلحة وكثرة الخطباء والفلاسفة، وإنما هى فى «النور» الذى يملأ نفوس أبنائها ويحفزهم إلى النضال... وما من سبيل لمعرفة ذلك النور إلا عند الشعراء...

«الشاعر يحدث القلوب عن القلوب، وينقل ما فى نفسه إلى نفوس الناس، ويكاد يكون الوحيد الذى يحيا الحياة بعمق وعنف بينما أكثر الناس من حوله يعيشون على هامش الوجود...»

ثم يذكر الكاتب أنه نقل معنى البيت الآتى من الشعر لأحد الأساتذة الفرنسيين وهو:

وإنا لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف أن تسكن اللحم والعظما!

فقال صاحبه الفرنسى — وكانا يخوضان فى حديث «المفاخر» عند الشعوب:

«لو اطلعت على هذا البيت ولم أعرف جنسية قائله لذهب بى الحدس إلى أنه عربى، فان بيتاً كهذا لا يقوله إلا عربى!»

وينتهى الكاتب بعد مقدمات منطقية متسلسلة إلى أن بريطانيا أمة «شاعرة» وأن الانجليز شعب «روحى» من الطراز الأول... وإن كانوا... وكانوا... وكانوا...

الفكر والسياسة

وفى مقال بعنوان «أنت مفكر... إذن فأنت سياسى» فى مجلة «عالم الغد» البغدادية، بقلم الأستاذ حسين مروة، يقول:

«كان للسياسة قبل اليوم معنى، وكان معناها أن يستأثر فرد — او طبقة — بالحكم فى الشعوب، والعبث بأقدار الأمم، وفرض السيطرة والرهبة على الناس؛ سواء أجاء هذا الاستئثار من طريق الوراثة، أم

من طريق القوة والحيلة ، أم من طريق الغدر والخديعة . وكان السياسى الناجح — يومذاك — هو من يرث سلطانا أكبر ، أو من يملك وسائل للبطش أقوى وأنفذ ، أو من يستطيع انتهاز الفرص للوقيعة والخديعة . وكانت الشعوب يومئذ شراذم من الناس تسير كقطعان الماشية ، لاتعرف من السياسة إلا هذا السوط يلهب ظهرها من وراء يستحثها على السير وهى خافضة الرأس لاتعرف إلى أية غاية تسير . . .

«كان للسياسة معناها ذاك ، فلم يكن يصح لأحد من الناس أن يفكر بالسياسة أو يتحدث فيما يخوض فيه رجال السياسة ... أما اليوم فقد انقلبت معانى الأشياء كلها انقلابا لا محيص للأذهان عن أن تنقاد فيه قسرا أو طواعية . . . لأن ريحا هبت على الحياة منذ الثورة الفرنسية الكبرى تحمل للأمم والشعوب فى كل بقاع الأرض «لائحة» حقوق الانسان . . . »

ثم يمضى الكاتب فى بحثه حتى ينتهى إلى الحقيقة التى يريد أن يقررها ، وهى أن السياسة لم تعد منذ اليوم وراثة ولا استئثاراً بالحكم ولا تميزاً بالقوة أو بالحيلة ، ولا تملكا بالجاه « بل أصبح معنى السياسة أن يملك الفرد — أيا كان الفرد — قدراً من التفكير والثقافة يستطيع أن ينفذ به إلى الحدود الواضحة لكل مذهب من المذاهب الكبرى » فى العلم والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد . ا

« وبذلك يكون كل مفكر ، وكل مثقف سياسياً ، وإن وضعوا الف حجاب بينه وبين السياسة ! »

مخلفات عباسية

فى سنة ٦٥٦ من الهجرة سقطت بغداد فى يد هولاكو ، وصرع آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد أبو أحمد المستعصم بالله ، وانقطعت الخلافة العباسية فترة حتى أعادها الظاهر بيبرس البندقدارى فى القاهرة وبايع بها بعض ولد المستنصر بالله ، ثم بقيت فيه وفى ولده من بعده حتى سقطت مصر فى يد العثمانيين سنة ٩٢٢ من الهجرة ، فكان ذلك أذاناً بانتهاء الخلافة العباسية وانقراض بنى العباس ابن عبد المطلب الهاشمى وانغمارهم فى اللجة ، فلم يسمع لهم خبر بعد ذلك ولم تقم لدولتهم قائمة ؛ وغاب آخر تاريخ العباسيين فى غمرة الحوادث المتتابعة ، ونسى أبناؤهم وحفدتهم ما كان عليه آباؤهم على توالى القرون وعادوا ناساً من الناس ، آباؤهم وجر النسيان أذياله على الماضى الزاخر بالأمجاد والمفاخر . . .

ثم ماذا ؟

ثم هذا كاتب عراقى تنتفض فى فكره ذكريات الماضى لمناسبة بحث قرأه فى مجلة « الكتاب » المصرية عنوانه « السيف فى الشرق الأدنى » فاذا هو يكتب مقالا لمجلة « البيان » التى تصدر فى النجف ، عنوانه « أدوات المستعصم العباسى » يحاول فيه أن يحقق آخر تاريخ بنى العباس ، فيصف — مستنداً إلى وثائقه — كيف كانت آخرة أبناء أبى أحمد المستعصم بالله ، وكيف نجا من الهلكة ولده أبو المناقب مبارك ، وعاش حتى أنجب ، ثم كان من ولده أمراء تولوا الحكم فى بعض الامارات فى شمال العراق يتوارثونها خلفاً عن سلف حتى سنة ١٢٥٩ من الهجرة — أى منذ قرن واحد — حينئذ انتقل من بقى من سلالة بنى العباس إلى بغداد فاتخذوها

وطنا ، يعيشون كما يعيش سائر الناس ، وليس فى يدهم من أمجاد الماضى إلا ذكريات ، وبعض مخلفات ملوكية ؛ ثم لا يزال حفدتهم يقيمون فى العراق حتى اليوم ، ومنهم كاتب هذا المقال ، السيد خضر العباسى ، حفيد المرحوم أحمد بك العباسى ، ابن الأمير اسماعيل باشا العباسى ، آخر بنى العباس فى الملك والامارة . . .

بحث طريف يستند إلى إيمان ، وبرهان ، وشهود ثقات ، قد احتفل له كاتبه احتفال المحامى عن حسبه و نسبه وأمجاد آبائه !

ويعد الكاتب فى آخر مقاله بأن ينشر كثيراً من المعلومات التفصيلية فى كتاب قد فرغ من تأليفه فى تاريخ أسرته العباسية ، مع تصاوير الأدوات والمخلفات وبعض الفرمانات التى أقطعتهم بمقتضاها الحكومة التركية قرى وأملاكا ما زالوا يتقاضون غلتها حتى اليوم !

رمضان فى النجف

مقال ممتع فى مجلة « القادسية » التى تصدر فى « النجف » يصف فيه كاتبه الشيخ أحمد الحسانى كيف يحتفل أهل النجف بشهر رمضان ، فيتحدث فيه عن وفرة المواد الغذائية والحلويات ، وعن المجالس الادبية ، و تلاوة القرآن ، واحتشاد النجفيين فى رمضان بالحرم العلوى المقدس ، ثم عن القبر الطاهر وأدعية الناس عنده ، إلى غير ذلك مما قد يعنى كثيراً من المسلمين فى بقاع الأرض المختلفة أن يعرفوه عن « النجف » وأهلها وما تعودوه من عادات وما ورثوه من تقاليد .

الدراسة فى النجف

وفى مدينة النجف أكثر مما فى أى بلد من بلاد العراق نشاط علمى ملحوظ ؛ فليست موطن « الحرم العلوى » فحسب ، ولكنها إلى ذلك مركز من مراكز الثقافة منذ بعيد ، فلا زالت أقوال أدبائها ومباحث أهل العلم فيها تدور على الألسنة ويتناقلها الرواة وينتفع بها كثير من العلماء فى كثير من الأقطار .

وفى مجلة « الاعتدال » النجفية مقال بعنوان « الدراسة فى النجف » يتحدث فيه كاتبه عن ماضى النجف فى العلم وعن حاضرها ثم يقول :

« النجف مدينة تختلف عن سائر المدن العربية والاسلامية ، فارتفاع أرضها ، وجفاف مناخها ، وقربها من البادية ، وبعدها عن ضوضاء المدينة الحديثة ، جعل منها مدينة أشبه بمدرسة جامعة واحدة لها منهجها الخاص بها ، هو خلاصة القديم الذى عرفت به من عهدها السابق ، وخيار الجديد الذى جاء به هذا العصر ؛ فهى لم تزل ولا تزال تواصل الحركة الفكرية والأدبية ، وتطالع ما تطالع به المطابع فى أنحاء المعمورة من كتب حديثة وآراء جديدة ؛ فمكتباتها الكثيرة زاخرة بكل قديم قيم وكل جديد جيد . »

ثم يهيب الكاتب بأهل النجف أن يصلوا بين ماضيهم فى العلم وحاضرهم ، وأن يتحفزوا لاداء رسالتهم ، وأن ينهضوا ليلحقوا بقافلة الأمم السائرة ، ويواكبوا مواكب العصر الجديد .

أنا عربى !

وفى المجلة نفسها للأستاذ الصافى شاعر النجف ، قرأت هذه الأبيات :

تسائلنى هنـد عن نسبتى ... فقلت : إلى المعـدن الفاضل
أنا عـربى . وحسبى بذا ... جـوابا يعـظمه سـائلى
وإن رمت يا هند شرحا لما ... أشرت له من عـلا شامل
فآبائى الصيـد من هاشم ... وأخـوالى الغـر من عامل
أوحد سـورية بالعـراق ... وأجمـع لبنـان فى بابل
ولى فى فلسطين ماضى علا ... وآمال مستقبـل حافـل
ولى نسب جال فى الـكائنات ... ومن عامل سـار فى عاهل
تولد قـدما بأرض الحجاز ... وحـل بحـرة السـاحل
وألقى عصاه بارض العراق ... ومنبت كل فـتى باسـل
سيبقى يطـوف إلى أن يقيم ... على ذروة الوطن الـكامل !

النشاط العلمى فى الشرق

وفى مجلة « الثريا » التونسية مقال للأستاذ مصطفى زبيس بعنوان « حركة التأليف والنشر فى الشرق » يوازن فيه بين النشاط العلمى بالمشرق قبل الحرب وفى أثنائها ، وينوه بكثرة ما أنتج الأدباء وأهل البحث من المشارقة فى السنوات الأخيرة ، ويخص مصر بفضل من التنويه ؛ ثم يأخذ فى سرد ما رآه من مظاهر النشاط ، فيتحدث عن ذيوع « كتب السلاسل الدورية » كسلسلة « العلم للملايين » التى تصدر فى بيروت ، وسلسلة « اقرأ » التى تصدرها دار المعارف بالقاهرة ، وسلسلة «أعلام الاسلام» وغيرها ، ثم يتحدث عما راءه من زهد حملة الأقلام فى ترجمة مؤلفات الأجانب خصوصاً الفنية منها ، وجنوحهم إلى الابتكار أو الانشاء فى موضوعات لم يكن يخطر على البال أن يطرقها — اليوم — كتاب العربية . ثم يصف نشاط دور النشر الكبرى فى القاهرة وغيرها فى إحياء الكتب العربية القديمة . . . إلى غير ذلك مما عد من أوجه النشاط . حتى إذا فرغ من تعدادها نوه بطائفة من الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية فى الفترة الأخيرة أو أنشأها المؤلفون العرب ؛ ويختم بحثه بعد ذلك بذكر ثبت لما ظهر من سلسلة « أعلام الاسلام » حتى فبراير الماضى . . .

وهو مقال فيه تتبع واستقصاء جديران بالتنويه .

كفر بعد إيمان

وفى مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب مقال للمحرر بعنوان « إيمان الشرق بالغرب » يقول فيه :

« كان الشرق منـذ مطلع القرن التاسع عشر ، يؤمن إيماناً قوياً بأوربا : يؤمن بحضارتها وفنها وعلمها ، وكان يراها صورة

٢٠٣

مثالية للقيم الروحية . وعلى ضوء هذه العقيدة أخذ الشرقيون يتجهون نحو الغرب ويعملون جهدهم للتطبع بالطابع الغربى واقتباس كل مالدى أوربا من مظاهر وأخلاق وعادات ، حتى كادت تنصهر جميع خصائص الشرق مع الأيام فى بوتقة الغرب .

« وجاءت الحرب العالميـة الأولى وبدأ الصراع الدامى للكفاح فى سبيل حرية الشعوب ، وعلقت الأمم الصغيرة آمالها بعدالة الغرب ، بل آمنت بها إيماناً راسخا . . . وانتظرت أن تنتهى الحرب ، وقد انتهت ووضعت أوزارها . . . وأخـذ المؤمنون ينتظرون ثمرة الحرب ، فماذا حدث ؟ لقد أفصحت الأمم الغالبة عن نياتها ، وإذا هى تريد أن تبتلع الشرق وأن تستثمر خيراته . . . وهـكذا ظهرت أوربا بوجهها السافر وعرف الشرق حقيقتها . . .

« ومرت فترة ما بين الحربين ، واتجه الشرق إلى أمريكا . . . لقد أصبحت أوربا فى نظره مادية جشعة ، لا تعرف معنى العدالة ولا الحرية ولا الرحمة . أما أمريكا — وهى التى انتصرت للحرية فى الحرب الماضية — فهى القارة المثالية التى تتحقق عندها كل القيم الروحية . . .

« وانتهت الحرب الثانية . . . وأخذ العالم ينتظر الفترة التى تقرر فيها الحقوق ، ولكن جميع الاتجاهات دلت على أن الأقوال التى يفوه بها الساسة هى غير ما هو مسطر فى ضمير المطامع . . . »

وبعد أن وصف الكاتب موقف أمريكا والرئيس ترومان من قضية العرب والصهيونية وكيف انقلبت أمريكا تحت ضغط الصهيونية إلى جلاد مخيف بعد أن كانت فى نظر العرب رسول السلام والخير إلى الناس — قال :

« إن الايمان بالوثنية لون من ضعف المؤمن . وقد آمن الشرق بعدالة أوربا ، وآمن مرة ثانية بعدالة أمريكا ، ولكن الحقائق المجردة زعزعت من نفسه هذا الايمان الوثنى ، وهو يرتد اليوم إلى أعماق ذاته ينشـد إيماناً جديداً .

« فعلى الشرق لكى يتحرر من العبوديات أن يؤمن بفلسفة الواقع . . . فلسفة القوة . علينا كى نعيش أحرارا أن ننهج نهج الغرب فى علمه وفنه وحيـاته ، وأن نقتبس من أمريكا كل وسائلها المادية ، على أن نعود فى مثالياتنا إلى أعماق ذاتنا . لنأخذ من الغرب ماديته ، على أن نحتفظ بمثلنا الروحيـة لنستطيع الحياة ! »

أدب للتصدير

لا تزال مجلة « المنهل » التى تصدر فى مكة المكرمة توالى نشر ما يرد إليها من إجابات الأدباء عن الاستفتاء الذى دعت إليه أدباء الحجاز تسألهم : « هل يصلح أدب الحجاز للتصدير » .

وفى العدد الثامن من المجلد السادس إجابات ثلاث . نقتبس منهـا بعض رأى الأستاذ عبد الغفور عطار ، يقول :

« ليس غريبا على أدباء الحجاز ان يجودوا الشعر والنثر وقـد قرب العلم الأبعاد . . . فكأن مصر والحجاز وطن واحد من الناحية الجغرافية ، ولا نغالى إذا قلنا إن المطابع والاذاعة والمواصلات السريعة قضت على الحدود الاقليمية ومحت المسافات .

« وأدباء الحجاز لا يتقنـون اللغات الأجنبية فلا تزحم ثقافتهم العربية . فهم

مضطرون إلى القراءة والدراسة ، ولا تنفس لهم غير الأدب المصرى على الأخص والأدب العربى على العموم يلتهمونهما التهاما ، وأصبحوا يعرفون عن أدباء مصر أكثر مما يعرف المصريون أنفسهم عنهم ؛ لأن هؤلاء تتوزع أوقاتهم ثقافات الأمم الأخرى . . .

« وليس أدباء الحجاز طلاب تسلية يريدون تزجية الفراغ ، وإنما هم عشاق فن . . . وهم أحرار الفكر يمتازون بالسماحة الطيبة ورجاحة العقل وسلامة النية ونبل الضمير . . .

« ولعل الفراغ الذى لديهم أتاح لهم الدراسة والتحصيل والتعمق وقراءة كل ما تقذفه المطبعة العربية ، حتى أطاعهم القلم فكتبوا ونظموا ثم أجادوا فيما يكتبون وينظمون » .